الوضعية اللغوية و معايير اختيار السلوك اللغوي

صحرة دحمان *

يتواصل الفرد مع غيره باستعمال **لغة محيطه**، أو **اللّغة** التي **اكتسبها عن طريق التعلّم** سواء أ كانت رسمية أم أجنبية. بحيث يجد المتكلّم نفسه في **وضعيات خطابية** متعدّدة، تضطره إلى **اختيار سلوك لغوي** معيّن، أو الجنوح . في أحيان كثيرة . إلى استعمال عدّة مستويات لغوية تنتمي للّغة الواحدة. و هو ما يفسّر وجود عدّة عوامل تؤثر في إنتاج حديثه الذي يتوزّع على موضوعات مختلفة باختلاف الأزمنة و الأماكن التي يتواجد فيها (الأسرة، العمل، المقهى، السوق، المدرسة، الشارع،..الخ). فضلا عن تواصله مع أشخاص تربطه بهم علاقات متباينة، قد تكون هذه العلاقة علاقة: زواج، أبوة، أخوة، عمل، صداقة، ... الخ.

إذ ينتقل المتكلّم من دور إلى دور آخر، مراعيا في هذه العلاقة **مخاطَبه** الذي يتسم **بجملة من الخصائص** التي قد يشترك معه في بعضها، و يختلف معه في بعضها الآخر. كالجنس، و السن، و اللّغة أو اللّغات، و المستوى التعليمي، أو الثقافة بشكل عام. فقد يتحاور المتكلّم مع مخاطَبه أو مخاطَبيه، و قد يكون مجرّد مرسل للخطاب الذي يتلقاه مستقبل أو مجموعة من المستقبلين. و ما إلى ذلك من الأمور الأخرى التي تتداخل لتنشئ **وضعية خطابية** معيّنة تختلف عن وضعيات خطابية أخرى.

لذلك لابد من محاولة تحديد **المتغيّرات و العوامل** التي تحدّد الوضعيات الخطابية، و هو ما يُعيننا على معرفة و تحديد **معايير اختيار سلوك لغوي** دون الآخر. مرورا بتحديد مفهوم الوضعية الخطابية، الذي يتداخل مع مفهوم السياق، عند عدد من الدارسين، في مجالي: اللّسانيات

* جامعة الجزائر2

و اللّسانيات الاجتماعية.

ثم التركيز ـ بعد ذلك ـ على تحديد معايير اختيار السّلوك اللّغوي، بالإجابة عن **الأسئلة الآتية:**

* هل هناك عامل واحد يؤثر في اختيار السلوك اللّغوي أو هناك عوامل كثيرة تسهم في هذا الاختيار؟

* و إذا كانت هناك عوامل متعدّدة، ما هو العامل الذي له الدور الحاسم في اختيار سلوك لغوي معيّن، أو تغييره ؟

* و هل يمكن أن يكون لواحد من هذه العوامل أثر أكبر من العوامل الأخرى؟

الوضعية الخطابية

مفهومها

تعرّف **الوضعية الخطابية** على أنّها **مجموعة شروط إنشاء الكلام**، و هي تلك الشروط الخارجة عن الكلام في حد ذاته. فكلّ حديث ينشأ انطلاقا من نية (قصد) معيّنة، هذه النية التي يمكن تفسير سبب نشوئها بالرجوع إلى شخصية المتكلّم (أو المتكلّمين) و السامع (أو السامعين) في المكان و الزمان الذي جرى فيهما الكلام. و كلّ هذه العوامل التي تؤثّر في إنتاج الكلام تشكّل ما يعرف بالوضعية أو المقام[1].

ويلاحظ أنّ مصطلح الوضعية الخطابية يتداخل مع مصطلح آخر، هو مصطلح السياق (Contexte) و يعبّر في أحيان كثيرة عن أحدهما بالآخر، إذ يرى **"بلومفيلد"** أنّ **الوضعية الخطابية** تحتوي كلّ الأشياء و الأحداث التي تجري في عالم الفاعلين (Sujets)، بحيث تضم الأحداث اللّغوية و الأحداث الماضية.

و نجد الفكرة نفسها عند "**ميلر**" (Miller) مستعملا مصطلح (Contexte) قائلا: عندما يتكلّم علماء النفس عن **السياق** فهم يعنون به **مجموعة الظروف** التي يخضع لها الفرد في **وقت معيّن** ... فماضي المتكلّم بما يحويه من أحداث يفيده في إنشاء الوحدات اللّغوية التي يملكها، و في الطريقة التي يستعمل بها هذه الوحدات [2].

غير أنّه، يكاد يجمع الباحثون في هذا المجال على تخصيص مصطلح **الوضعية** (Situation) للدلالة على: مجموعة **العناصر غير اللّسانية** (Extralinguistique) التي تكون ماثلة في أذهان المتخاطبين، أو الموجودة في الواقع الخارجي وقت جريان المحادثة، وهي تلك العناصر التي تؤدي دورا في صياغة الوحدات اللّغوية و وظيفتها [3].

أمّا مصطلح **السياق** (Contexte)، فيخصّص للدلالة على: مجموعة **العناصر اللّسانية** التي تكتنف الوحدات اللّغوية المعيّنة، بحيث تتجاور هذه العناصر في النص، و تحدّد وجود هذه الوحدة، وشكلها و وظيفتها [4]، فمثلا لو أردنا تحديد سياق الحرف أو الصوت /خ/ من كلمة دخل، فنقول: هو مجموع الأصوات التي تسبقه وتلحقه، وهي الدال /د/، و اللام /ل/. و لو أردنا تحديد سياق كلمة الولد في الجملة: شرب الولد الماء، فهو مجموع الكلمات التي تسبق هذه الكلمة و تلحق بها، و هي: /شرب/، و /الماء/.

و نشير إلى أنّ مصطلحي (Situation) و (Contexte) يقابلهما في اللّغة العربية أيضا "القرائن الحالية" و "القرائن المقالية" [5].

و ما يهمنا في هذا المقام هو مفهوم **الوضعية الخطابية** بما تحويه من **متغيّرات_غير لسانية**. و تجدر الإشارة إلى اختلاف الباحثين في تحديد عناصرها و متغيّراتها المكوّنة لها، و ذلك راجع ـ بطبيعة الحال ـ إلى اختلاف وجهات نظرهم إلى **العوامل** التي لها **الدور الحاسم في توجيه السلوك اللّغوي للمتكلّم**، فيختار ما يناسب الوضعية التي يتكلّم فيها.

و بما أنّ هذا الموضوع الذي نتناوله يدخل في إطار **اللّسانيات الاجتماعية** فسنأخذ بتحديد **فيشمان** (Fishman) الذي يرى أنّ الوضعية الخطابية هي **تواجد شخصين أو أكثر تربطهما علاقة خاصّة** ، و **يتحاوران** حول **موضوع معيّن**، وفي **إطار معيّن** كذلك [6].

و قد حدّد "**فيشمان**" الوضعية الخطابية بثلاثة عوامل:

- العلاقة الموجودة بين المتكلّمين.
- موضوعات الحديث.
- الإطار الذي يجري فيه هذا الحديث.

و يصنّف هذا الباحث **الوضعيات الخطابية** وفق **حقول** (أو مجالات)، حيث إنّ كلّ حقل يفرض معاييره و لغاته الخاصّة به. و قد تعرّض إليها في سياق تحليله لظاهرة الازدواج اللّغوي و هي **خمسة حقول: العائلة، الأصدقاء، الدين، المدرسة** (مراكز التكوين بصفة عامّة)، **العمل**. و ينبغي أن يتزامن وجود ثلاثة عوامل للحديث عن هذه المجالات، و هي: **أدوار المتخاطبين الاجتماعية، الأماكن و الأوقات** التي تجري فيها المحاورات، و **الموضوعات** [7].

العوامل التي تحدّد الوضعية الخطابية

يؤدي الأشخاص في جماعاتهم اللّغوية عدّة **أدوار اجتماعية**، و يقيمون علاقات مع غيرهم، و ينتقلون من دور إلى دور. فقد يتكلّم الفرد بصفته أبا، و في أوقات أخرى بصفته أخا، أو أستاذا أو موظفا، و "هو في ذلك يدرك **العلاقة** بين **الدور الاجتماعي** الذي يؤديه و **السلوك اللّغوي** [المطلوب]" [8]. و يتناول المتكلّمون في محاوراتهم **موضوعات مختلفة**، منها العلمية و السياسية و الاقتصادية و الحميمية، مراعين هذه الموضوعات في **اختيار السلوك اللّغوي**. هذا، وتجري هذه المحاورات في أماكن و أوقات مختلفة، فقد يتكلّم الشخص في مكان عمله، أو في بيته، أو في المقهى، أو في أيّ مكان آخر. و قد يلتقي في مكان عمله ببعض الأفراد الذين يلتقي بهم في بيته، وهكذا.

و نضيف إلى هذه العوامل **عامل هام جدّا** ذكرناه في بداية حديثنا عن الوضعية الخطابية، وهو **النية** أو الغرض **من الحديث**. فإذا كـان الأفـراد يتناولـون موضوعـات مختلفـة، و يتبادلون الحديث مع أشخاص تربطهم بهم علاقات متنوّعة، فإنّهم يقصدون من وراء كلامهم إلى أغراض معيّنة " فحين يستعمل الإنسان اللّغة فهو يرمي إلى هدف ما، فقد يريد إقناع السامع بشأن معيّن، أو إمداده بمعلومات خاصّة أو التقدّم منه بطلب مساعدة، إلى ما شابه ذلك" [9]. من هنا يتضح أنّ السلوك اللّغوي يخضع إلى **عوامل نفسية** ترتبط بمقاصد المتكلّمين و العلاقات القائمة بينهم.

ومما تقدّم يمكننا أن نستخلص **المتغيّرات و العوامل** التي تحدّد الوضعية الخطابية، وهي:

. أدوار المتخاطبين الاجتماعية و العلاقات القائمة بينهم.

. موضوعات الحديث.

. مكان جريان الحديث و زمانه.

. النية أو الغرض من الكلام.

معايير اختيار السلوك اللّغوي

دور اللّغة في التكيّف الاجتماعي

تؤدي **اللّغة** في حياة الفرد اليومية دورا أساسيا في **التكيّف الاجتماعي**، فهي عامل " مهم للحياة الاجتماعية أو ضرورة من أهم ضروراتها؛ لأنّها أساس لوجود التواصل في هذه الحياة و أساس لتوطيد سبل التعايش فيها، فهي وسيلة الإنسـان للتعبيـر عـن حاجاتـه و رغباتـه و أحاسيسه و مواقفه، و طريقُه إلى تصريف شؤون عيشه و إرضاء غريزة الاجتمـاع لديـه ... و اللّغة كذلك أداة هذا الإنسان للتخاطب مع الآخرين و التفاهم و تبـادل الأفكـار و الآراء و المشاعر معهم، و طريقُه إلى فهم و تحسين أذواقهم، و سبيله إلى معرفة مذاهبهم ووسائل التأثير فيهم، و إيجاد العلاقات و بناء الروابط"[10]، سواء أكان ذلك في تبادلاته المباشرة أم غير المباشرة.

فالمباشرة هي تلك العلاقات التي يحتك فيها الفرد مع أفراد عائلته، و جيرانه، و زملائه في العمل، أمّا غير المباشرة فتضم وسائل الاتصال المسموعة و المرئيــة، و الجرائــد، و الكتــب، و الصلاة، و كتابة التجارب الشخصية [11].

أمّا **العلاقات اللّغوية غير المباشرة،** فيمكن للشخص أن يستمع للإذاعة بلغة، و يحرّر مراسلاته بلغة أخرى، و لكنّه يقرأ الجرائد باللّغتين. كما نجد مجموعة من الأشخاص يستعملون لغة للصلاة تختلف عن لغة حياتهم اليومية. و مثل هؤلاء عدد كبير من المسلمين المنتشرين في أنحاء العالم، و الذين تختلف **لغاتهم الأم** عن اللّغة التي يؤدون بها الصلاة، وهي اللّغة العربية، و مثل هؤلاء أيضا الناطقون الجزائريون الذين يتكلّمون إحدى اللّهجات الأمازيغية.

فإذا كان **للّغة** هذا الدور الفعّال والمهم، وكان لبعض الأفراد أو الجماعات **سلوكات لغوية اختيارية** ، حيث إنّهم يعيشون في مجتمعات مزدوجة أو متعددة اللّغات، أو إنّهم هم مزدوجون أو متعددو اللّغات، فإنّه ينبغي للمتكلّم أن يختار سلوكا لغويا يراه مناسبا. و" لاشك أنّ المتكلّم يراعي [في ذلك] كل ما يحيط به من معطيات و ظروف، فيتحرى منها ما يدعم به نجاعة رسالته اللّغوية خدمة لغرضها الأصلي التفاهم، و كذلك فهو يقوم بعمليات معرفية معقّدة لاختيار ما يناسب من المحتوى الذي يمتلكه" [12].

توزيع المتكلّم للغاته حسب مخاطبيه

فالمتكلّم قد **يوزّع لغاته حسب مخاطبيه،** فيستعمل لغة مع زوجته، و لغة أخرى مع والدته أو والده، و اللّغتين معا مع أولاده. ونجد هذه الممارسة اللّغوية **مجسّدة في الواقع اللّغوي الجزائري،** إذ قد يتكلّم زوج جزائري أمازيغي مع زوجته العربية باللّغة العربية، و يتوجه إلى والدته أو والده بإحدى اللّهجات الأمازيغية، و يستعمل اللّغتين في حالة توجهه إلى أبنائه، و قد يضاف إلى هذا التوزيع اللّغوي لغة أخرى هي الفرنسية، إذ قد يلجأ إليها للحديث مع زوجته إن كانت هذه الأخيرة متعلّمة.

و قد يتوجّه المتكلّم بحديثه إلى شخص أجنبي، فيضطر إلى استعمال لغة هذا الأجنـبي. و يبدو أنّه في **التبادلات اللّغوية** بين الأفراد أنّ كل متكلّم يميل إلى استعمال **لغة مخاطبيه** أو على الأقل لغة شبيهة بلغتهم [13]. و هكذا فإنّ توزيع المتكلّم للغاته يتوقف على الممارسات اللّغوية لمخاطبيه.

و إذا كان المتكلّم يوزع لغاته **حسب مخاطبيه** ، فإنّه يراعي أمورا كثيرة يتسم بها هذا المخاطب أو هؤلاء المخاطبين ، و يمكن أن نجملها فيما يلي:

- مركز المخاطب و علاقته بالمتكلّم.
- درجة ثقافة المخاطب.
- جنس المخاطب أو عمره.
- مدى معرفة المخاطب للّغات و اللّهجات التي يعرفها المتكلّم؛ ذلك أنّ مخاطبة صديق تختلف عن مخاطبة غريب، و مخاطبة طفل تختلف عن مخاطبة راشد، و مخاطبة امرأة تختلف عن مخاطبة رجل، وهكذا.

و بالإضافة إلى مراعاة هذه العلاقات فإنّ "المتكلّم يتأثر في استعماله للّغة بالعناصر المكوّنة لشخصيته و ثقافته، فتعكس كلماته و تعابيره [و اللّغة المستعملة] هذا التأثير اللاشعوري الذي يصبح جزءا من تكوينه النّفسي و الفكري"[14].

أثر المكان و الزمان في اختيار السلوك اللّغوي

لا يتوقف **استعمال لغة** ما أو **تنوّع لغوي معيّن** على خصائص المخاطب وحدها، بل قد يكون **للمكان و الزمان دورا حاسما** في السلوك اللّغوي المختار. فالأفراد يتواجدون في أماكن مختلفة، و في فترات مختلفة من الزمن أيضا، فقد يلتقي الشخص في مكان عمله صباحا ببعض الأفراد الذين قد يلتقي بهم في بيته مساء، و بيـن هذا المكــان و ذاك يتبايـن سلوكـه اللّغـوي، فيستعمل لغة في العمل و لغة أخرى في المنزل مراعيا في ذلك زمان الحديث و مكانه.

ذلك أنّ العلاقة في العمل محدودة، و قد تكون في بعض الأحيان رسمية، و لكن سرعان ما تتحوّل هذه العلاقة لتصبح طبيعية، كأن تكون علاقة صداقة أو أخوة خارج مكان العمل.

و قد تحدّث (Fishman) عن مثل هذا السلوك اللّغوي في تحليله لظاهرة الازدواج اللّغوي بين الإنجليزية و الإسبانية؛ فالشباب البرتغاليون الذين يعملون في نيويورك يخصصون اللّغة الإنجليزية للعمل و اللّغة الإسبانية لوسطهم العائلي [15].

و إذا كان هؤلاء الشباب يميّزون في ممارساتهم اللّغوية بين مكان العمل و البيت فإنّ ذلك لا يمنعهم من أن يستعملوا اللّغة الإنجليزية في البيت أو أن ينتقلوا[16] من لغة إلى لغة أخــرى، أو أن يمزجوا بينهما عندما يتطلّب موضوع المحادثة الرجوع إلى هذه اللّغة أو تلك، إذ يمكنهم التطرّق إلى موضوعات خاصّة بعملهم في عائلاتهم.

فالتخاطب "بطبيعته يستدعي الحاجة المباشرة الملحة و الفورية إلى القوالب و التراكيب اللّفظية التي تسعف المتحدّث أو المتخاطب و تمكّنه من التعبير عمّا يجول في فكره أو يعتلج في نفسه دون تعثر أو توقف أو صعوبة، و هذا في حد ذاته يدفع إلى تحريك الذاكرة و إثارتها أو الإلحاح عليها من أجل الاستدعاء الفوري لما يسد الحاجة من محتوياتها من العناصر اللّغوية" [17].

فقد يضطر الفرد حينما **لا يسعفه رصيده اللّغوي** إلى الانتقال إلى لغة أخرى أو إلى المزج بين لغته و اللّغة الثانية التي يمتلكها. و كل ذلك من أجل طرق الموضوعات التي لم تسمح لهم لغاتهم بطرقها. و مثاله الأشخاص الذين تكوّنوا بلغة غير لغتهم الأم إذ يصعب عليهم معالجة موضوعات مهنية بغير هذه اللّغة. و قد بيّنت بعض الدراسات الخاصّة بالمتكلّمين المزدوجين في بلدان المغرب العربي أنّ **اللّغة الأم تخصص للمجالات العاطفية أو الحميمية**، في حين تخصص **اللّغة الفرنسية** للمجالات أو **الموضوعات ذات الطابع التقني** [18].

أثر الموضوع في اختيار السلوك اللّغوي

يحصل في كثير من الأحيان، أنَ **يفقد** المتكلم **السيطرة** على **استعمال لغته**، فيلجأ إلى لغة أخرى **مراوحا بين اللّغتين** أو **مازجا بينهما**. و هذا ما نشهده في بعض محادثات الناطقين العرب، بحيث يفقدون التحكّم في اللّغة الفصحى فيضطرون إلى اللّجوء إلى العامية، أو إلى لغة أجنبية، قد تكون الفرنسية أو الإنجليزية أو أية لغة أخرى. وقد يحدث العكس إذا كان موضوع الحديث يتطلّب الرجوع إلى العربية.

و في هذا الشأن أورد مصطفى لطفي تجربة، تبيّن من خلالها أثر الموضوع في تغيير اللّغة، حيث طلب من "عدد من الناطقين بالعربية ممن يتقنون الإنجليزية إتقانا كاملا، بحكم دراستهم و عيشهم فترات طويلة في البلاد الناطقة بها، الحديث فيما بينهم باللّغة العربية عن موضوعات ذات طابع عربي؛ كأنواع الأطعمة المفضلة لديهم و ذكرياتهم في المدارس الثانوية. و كانت نتيجة هذه التجربة أنّ الأحاديث غلب عليها الطابع العادي، و تحدّث الجميع بطريقة لا تثير أيّة ملاحظات من الناحية اللّغوية.

و في المرحلة الثانية، طلب منهم الحديث عن الموضوعات نفسها باللّغة الإنجليزية. و من خلال ملاحظة الأحاديث المتبادلة ظهر جليا أثر الموضوع في اللّغة المستعملة، فاضطر هؤلاء المتكلمين إلى الاستعانة بكلمات عربية كثيرة لتوضيح أفكارهم، معتمدين في ذلك على معرفة المستمعين بهذه اللّغة. و"بالإجمال شعر الجميع بصعوبة الحديث في موضوع له علاقة بالحياة العربية بلغة غير العربية، وفي هذا دلالة واضحة على مدى الترابط بين الموضوع و اللّغة" [19].

و يمكن كذلك ملاحظة **أثر الموضوع** في الأشكال اللّغوية المختلفة من خلال بعض المواقف، و مثاله ما نلاحظه عادة من ميل إلى استعمال **التعابير الفصيحة** عند مناقشة الأمور **السياسية أو الدينية**، و كثرة استعمال **التعابير الأجنبية** أثناء الحديث عن **الأمور الميكانيكية**، فالإشارة إلى مختلف أجزاء السيارة مثلا أو أية آلة، يتم باللّغة الفرنسية (في المجتمع الجزائري)، و يظهر هذا السلوك اللّغوي حتى و إن كان المتكلّم لا يتقن هذه اللّغة؛ ذلك أنّه تعلّمها عن طريق السماع و تواتر استعمالها على الألسن.

و بالإضافة إلى هذه **المتغيّرات** التي تطرقنا إليها، و التي لها أهمية كبيرة في **اختيار السلوك اللّغوي المناسب للوضعية الخطابية**، يتكلّم بعض الباحثين . نذكر منهم " **W.** Mackey" و **"دليلة مرسلي"** . عن متغيّر آخر، هو **أسلوب الكلام**، إذ يمكن أن **تتوزّع لغات المتكلّم** وفق أغرض مختلفة: تقديم محاضرة، توبيخ شخص، إعطاء أوامر، سرد حكايات، حوار مع الآخرين ... إلخ [20].

أثر العامل النفسي و دوافع المتكلّم في اختيار السلوك اللّغوي

و إذا كانت **المتغيّرات** و **العوامل السابقة** تحدّد **اختيار السلوك اللّغوي** أو تؤدي دورا في تغييره، فإنّ هناك **عاملا آخر**، لا يقل أهمية عن العوامل المذكورة، هو **العامل النفسي و دوافع المتكلّم و أغراضه**؛ بحيث يسهم بشكل أو بآخر في اختيار السلوك اللّغوي أو تغييره. و تجب الإشارة في هذا الموضع إلى تعريف **ابن جني** للّغة و الذي يبيّن جانبا مهما من جوانب استعمال الفرد للّغة، حيث يقول: "أما حدها فهي أصوات **يعبّر** بها كل قوم **عن أغراضهم**" [21]، فهذا التعريف يظهر أهمية اللّغة في **التعبير عن الأغراض المختلفة.**

و في دراسة قام بها(الطيّب البكوش) في تونس حول استعمال بعض التلاميذ التونسيين للّغة الفرنسية، تبيّن له أنّ هؤلاء التلاميذ **يستعملون العربية في حالات الغضب** أو حالات أخرى من **حالات الانفعال**، و يلجأون إلى **الكلام الأجنبي في حالات البذاءة** و ما يتصل بها، ويرجع ذلك على ما يبدو إلى ظاهرة الكناية و التورية لغاية التلطيف، و بدافـع الاحتشـام اللاشعـوري، فالكلام الأجنبي ليس له نفس الشحنة العاطفية التي تكون للغة الإنسان الأولى [22].

وقد يكون استعمال لغة أخرى أو إدخال بعض عباراتها بدافع الظهور بمظهـر المتحضـر، فيصبح التعامل **باللّغة الأجنبية** مشافهة أو كتابة **سمة من سمات الحداثة و الرقي في السلوك** [23]. و تظهر هذه السلوكات عند النساء اللائي ينتمين إلى الطبقة المثقفة أو الارستقراطية في بعض المجتمعات التي تعرّضت في فترة من تاريخها إلى الاستعمار، و مثله ما حدث

في المجتمعات العربية. و بعد زوال الاستعمار حدثت تغيّرات اقتصادية و اجتماعية جذرية تسببت في مثل هذه السلوكات التي ذكرناها.

و يظهر من **خلال بعض المواقف** أيضا أنّ المتكلّم **يجنح** إلى استعمال **الفرنسية** لقضاء حاجاته، ذلك أنه يعي تماما **نفسية بعض مخاطَبيه** الذين يفضلون استعمال الفرنسية على استعمال العربية، و تظهر هذه السلوكات في الإدارات **الفرانكفونية** التي تستخدم اللّغة الفرنسية في تعاملاتها.

هذا، و قد يُلجأ إلى لغة أو لهجة أخرى، أو المزج بينهما لإخفاء المنشأ اللّغوي أو الطبقة الاجتماعية التي ينتمي إليها المتكلّم، خاصّة في المجتمعات التي تعرف تقسيمات طبقية، و هو أيضا حال المواطنين من البلد نفسه؛ فالريفي الذي يأتي إلى العاصمة يحاول التكلّم بلهجة العاصميين و يتخلى عن لهجته، محاولا بواسطة هذا السلوك اللّغوي "التكيّف مع البيئـة الجديـدة، و يتم ذلك بطمس و إخفاء السمات التي [يراها مذمومة] حتى و لو كانت تلك السمات من علامات انتمائه الاجتماعي لقريته و عشيرته و مجتمعه الصغير، و يحدث مثل هذا النمط في معظم لغات العالم و خاصّة في الجانب المحكي من اللّغة" [24]. كما يمكن أن يكون تغيير اللّغة ناتج عن قصور في إحدى اللّغتين، بحيث يخفي المتكلّم قصوره اللّغوي بهذا التغيير.

معايير اختيار السلوك اللّغوي في بعض وسائل الإعلام (الإذاعة و التلفزة)

دور وسائل الإعلام في التواصل اللّغوي

تعتبر الإذاعة و التلفزة من **أهم وسائل الاتصال الجماهيري** الذي لا يتحقق بالتبادلات المباشرة بين المرسل و المرسل إليه كما يحصل في المحادثة بين شخصين فأكثر، بل يتم بطريقة غير مباشرة من مركز بث المرسل إلى جمهور من المستمعين و المشاهدين [25].

فهذا النوع من **وسائل الاتّصال** يخاطب القطاع الكبير من المجتمع قصد تزويده بالمعلومات و الأخبار و الآراء و الأحداث و الوقائع و يهدف إلى التأثير في أكبر عدد ممكن من

المتلقين المتواجدين في أماكن مختلفة. و عليه، لابد من **الاهتمام بصياغة الرسالة** من الناحية اللّغوية، ذلك لأنّ **اللّغة** هي **"الوسيلة الفعّالة لإتمام عملية الاتّصال"** [26].

و من هنا تظهر **أهمية اللّغة** كأهم وسيلة في **العملية الاتصالية**، بل كوسيلة أساسية في العملية كلّها، و ترتبط بها الوسائل الأخرى و تعتبر امتدادا لها، ذلك أنّ كل نتيجة فردية أو اجتماعية تتوقف على كيفية استخدام اللّغة في وسائل الإعلام، و في الإذاعة و التلفزيون على وجه الخصوص **باعتبار أنّ هذه الوسائل** هي التي **تقتحم البيوت**.

في حين أنّ **الوسائل الأخرى يسعى إليها الناس**، كما أنّها في الحقيقة "أدوات نافذة المفعول سريعة التأثير، قريبة المتناول كثيرة الانتشار، يصل بعضها إذ لم يكن أكثرها إلى الداني و القاصي و الغني و الفقير و القادر و العاجز، و يأنس إليها الكبير و الصغير الأعمى و البصير، القارئ و الأمي، بل لا يكاد لأحد عنها أو عن بعضها غنى و لا عن هجرانها طاقة، فلربّما حلّ بعض منها بين طائفة من الناس محل العشير أو القرين ... و في ذلك **كلّه ما يكسب هذه الأدوات قدرا كبيرا من الأهمية** و القوة يجعلها في الوقت نفسه **أدوات لا تخلو من الخطورة** " [27].

و عليه، يمكن أن يكون لهذه **الوسائل دورا فعّالا في التواصل الاجتماعي و في نشر الثقافة و اللّغة**، و إمداد خاصّة النّاس و عامتهم بما تزيد من حصائلهم من ألفاظ اللّغة. و هذه الأهمية ناتجة بالنسبة **للمذياع** عن أمور كثيرة، من ذلك سهولة حمله و نقله و توفره في وسائل النقل كالسيارات و الحافلات، و تعدد برامجه و مواده المسموعة و امتداد فترات البث فيه، بحيث يتمكن الإنسان من استغلاله و الاستفادة منه، و هو مسافر أو مقيم، فضلا عن إمكانية امتلاكه من طرف الفقير و الغني على حد سواء.

و إذا كان للمذياع هذه الأهمية البالغة، فإنّ **للتلفاز الدور الأهم**، خاصّة بالنسبة إلى **الأقطار العربية**، و ذلك لعدّة أسباب أوجزها أحمد محمّد المعتوق في هذه النقاط:

- لقد دلت كثير من البحوث الميدانية التي أجريت في عدد من الدول العربية على أنّ التلفاز أصبح المصدر الأول للإعلام و للثقافة العامة، بالإضافة إلى كونه أداة للإمتاع و الترفيه متفوّقا بذلك وسائل الاتصال الأخرى و هذا بالطبع يعني اتساع رقعة انتشاره و سعة نفوذه، و من ثم تأثيره في مجال تنمية اللّغة على أساس أنها الوسيلة الأولى التي يتم بها توصيل المواد الإعلامية و الثقافية و ربّما المواد الترفيهية من خلال هذه الأداة.
- أصبح مجال البث التلفزيوني في الأقطار العربية و في دول الخليج بصورة أخص واسعا في عصر الفضائيات الحالي، بفضل الأقمار الصناعية... بحيث أضحى بالإمكان استقبال قنوات تلفزيونية متعددة من عدّة جهات أو من عدّة أقطار، و هذا يعني إعطاء فرص كثيرة للمشاهد للتنويع و التنقّل، و بالتالي شده للمشاهدة مدة أطول، و من ثم إعطاء مساحات زمانية أوسع للتأثير و الاتّصال اللّغوي، هذا بالإضافة إلى اتساع إمكانية استغلاله كوسيلة للتثقيف اللّغوي على المستوى الإقليمي و ليس على المستوى المحلي فقط.
- في التلفاز تشترك الصورة و الصوت و النغم و الحركة في توصيل المعلومات و يشترك سمع المشاهد و بصره في التقاط هذه المعلومات، و عن طريق المشاهدة قد يتضاعف اكتساب المعارف و اكتساب اللّغة أو التقاط ألفاظها و تراكيبها المختلفة كنوع أو جزء من هذه المعارف[28].

و على هذا، فإنّ **لهذه الوسائل أهمية** كبيرة في الاتصال الاجتماعي عامّة و الاتصال اللّغوي بصفة خاصّة، فعلى الرغم من أنّ الحصص التلفزيونية والإذاعية لا تهدف إلى تعليم اللّغة، إلاّ أنّها تسهم في إثراء الرصيد اللّغوي لأفراد المجتمع باعتمادها على اللّغة لإيصال المعلومات و الأخبار، فضلا عن أنها وسائل تسلية و ترفيه.

و إذا كانت هذه الوسائل **تهدف** بالدرجة الأولى **إلى إيصال الخبر**، و **الإعلان الرسمي و المعلومات العامّة و الثقافية الخفيفة**، فإنّ **تأثيرها على الأسماع كبير جدّا** و لذلك يمكن أن تكون هاتين الوسيلتين الإعلاميتين أكثر فعالية في **تنمية المهارات اللّغوية** لدى الأفراد عامّة و **لدى الناشئة الصغار** المؤهلين لتلقن اللّغة، و يحصل ذلك "إذا كان هناك اهتمام كاف

بالدور التثقيفي الذي يؤديه كل من هذين الجهازين و أمكن استغلال كل منهما بوعي و حرص كأداتين لنشر اللّغة" [29].

و بذلك يمكن لهما أن تشاركا مشاركة فعّالة في **إثراء الرصيد اللّغوي و تنمية الحصيلة اللّغوية** تنمية تمكّن الفرد من استعمال اللغة في مختلف المواقف و المقامات.

الموقف أو المقام كمحدّد للسلوك اللّغوي في بعض الحصص الإذاعية و التلفزيونية الجزائرية

تشيع **العربية العامية** على ألسنة أغلب الجزائريين في إطار تعاملهم اليومي، فهي الوسيلة التي يتفاهم بها أفراد المجتمع في البيت، وفي الشارع، وفي السوق، وفي **التواصل الاجتماعي عامّـة**، و هي " تظل صاحبة الغلبة حتى عند أولئك الذين أخذوا بأسباب الثقافة" [30]، و تستعمل **العربية الفصحى في المدرسة**، و في **المواقف الرسمية بصفة عامّة**. و يرجع هذا السلوك اللّغوي إلى أنّ "الاستعمال اليومي للّغة يختلف – بعفويته و عدم تكلّفه – عن الاستعمال المحصور في بعض الحالات كتلك التي تقتضي نوعا من الانقباض النفسي و الفيزيولوجي" [31].

و على هذا يمكننا الجزم بأنّ العدد الأكبر من الناطقين، يستعملون العامية في ميادين النشاط اليومي كلّها، و أنّ قلة منهم يستعملون الفصحى في حالات محدودة بصفة مقيّدة بالظرف و المقام . و تجب الإشارة في هذا الصدد إلى ملاحظة المظهر اللّغوي لكل من العربية الفصحى و العامية، فوظائف الكتابة مواقع خالصة للفصحى، أما وظائف المشافهة فتكاد تستولي عليها العامية [32].

و الملاحظ، أنّ الموقف الذي يتكلّم فيه الناطقون في إطار بعض الحصص التلفزيونية أو الإذاعية، كتلك التي تعالج موضوعات اجتماعية، أو ثقافية، و ما شابه ذلك، يتميّز بأنّه من المواقف التي تجمع متكلميْن فأكثر، إذ قد تعتمد بعضها طريقة الاستجواب و الحوار لمعالجة هذه الموضوعات وفق أهداف مسطّرة. ويعتبر هذا الموقف من المواقف الخاصّة التي تقتضي استعمالا

لغويا خاصّا، فوجود المتكلمين في وسيلة إعلامية، يفرض عليهم مراقبة ذاتية لسلوكهم اللّغوي، بحيث يحرصون على سلامة لغتهم ووضوحها، و الظهور بمظهر لغوي لائق، وذلك باختيار الألفاظ المناسبة نتيجة شعورهم بجدية الموقف و أهميته.

فهؤلاء الناطقون موجدون في حالة انقباض، بحيث تخرجهم هذه الوضعية من طبيعتهم و عفويتهم، و تدفعهم إلى تكييف سلوكهم اللّغوي وفقها، و بذلك "فإنّ اللّغة المستعملة تتأثر بموقف الخطاب و تؤدي في الوقت نفسه دورا أساسيا من حيث كونها قاسما مشتركا ووسيلة تخاطب رئيسة" [33].

و يتوزّع حديث المتكلّمين في هذه الحصص – في الغالب – بحسب دورين أساسين هما المستجوِب و المستجوَب داخل الأستوديو، حيث يقوم بالدور الأوّل المنشطون أو المنشطات، و يقوم بالدور الثاني ضيوف الحصص، و هم الأشخاص الذين يحضرون شخصيّا. و قد يخرج – في بعض الأحيان – توزّع الخطاب عن هذين الدورين، كأن يتحوّل الكلام إلى حوار بين المنشّط (أو المنشطّة) و المتكلّمين عبر الهاتف، الذين يتدّخلون أثناء الحصص للإدلاء بآرائهم حول الموضوعات المطروحة للنقاش.

و يبدو واضحا أنّ المنشطين و المنشّطات هم الفئة الأكثر خضوعا لهذا الموقف، ذلك أنهم مطالبون أكثر من غيرهم بتمثيل هيئة رسمية، فطبيعة عملهم **تفرض عليهم نوعا من السلوك اللّغوي** لا يفرض على غيرهم بحيث يحاولون إضفاء صفة الرسمية على كلامهم بأن يشعروا " المستمع بصدوره عن مؤسسة لا عن فرد مما يكسبه وقعا وقيمة أكبر" [34]، إذ ينبغي أن يكون استعمالهم اللّغوي مختلفا عن ذلك الاستعمال المألوف لديهم، فاللّغة هي الطريق الأوّل للوصول إلى الهدف الإعلامي لما لها من تأثير فعّال على العقول و المدارك و السلوك العام.

و على هذا ، يمكننا القول إنّ هؤلاء المتكلّمين يجدون أنفسهم في حالة **مراقبة ذاتية لسلوكهم اللّغوي**، و هي مراقبة نظنها إجبارية، ذلك أنّ الناطقين عامة يتصرّفون في المستويات اللّغوية وفق نوع من التوزيع يكون إجباريا أو اختياريا بحسب الموقف أو المقام الذي يتكلّمون

فيـــه [35]، و تتجسّد المراقبة الذاتية في محاولة الالتزام باستعمال المستوى الفصيح أو بمستوى يقترب منــه، و الابتعاد قدر الإمكان عن المستوى العامي، و ذلك لعدم ملاءمة هذا المستوى لهذا المقام.

و إذا كانت هذه الفئة **خاضعة إجباريا لهذا الموقف**، يبدو أنّ تأثير الموقف على أصحاب **الفئة الثانية التي يمثلها ضيوف الحصص الحاضرين** في الأستوديو بصفة خاصّة **قويا** ذلك أنّ إدراكهم لحقيقة هذا **الموقف غير العادي**، و **غير العفوي** يدفعهم إلى **اتّخاذ سلوك لغوي غير عادي** كذلك، فهم يتوجّهون بخطابهم إلى جمهور كبير من المتفرّجــين أو المستمعيــن، و هم مطالبون بتحقيق هدف ما سواء أكان لإقناع هذا الجمهور أم لإعلامه و إخباره أم لمعالجة ظاهرة ما. خاصّة إذا كان هؤلاء الضيوف من ذوي التخصصات العلمية أو النفسية أو الاجتماعية، فهم في موقف يستدعي مستوى لغوي عال، و يستدعي في الوقت نفسه مراعاة شرائح المجتمع بمستوياته اللّغوية المختلفة.

و الملاحظ أنّ **المتكلّمين** يكونون **أكثر تحكما** في أنفسهم و **في سلوكهــم اللّغــوي**، أي أكثر هدوءا **في الحصص الإذاعية**، و ذلك لاعتمادها على الصوت فقط بينما يكون التأثير أشد في **الحصص التلفزيونية** لأنّها تعتمد على الصوت و الصورة معا، و هنا يكون **المتكلّمون** أكثر **عرضة للحرج** و **للمؤثرات المادية** التي تتمثّل في وسائــل التسجيــل و التصوير المختلفة: الكاميرا، الأضواء، الأستوديو ... إلخ.

و هكذا فإنّ **الفصحى بحكم مكانتها الرسمية** و **العامية بحكم مكانتها الطبيعية** في الحياة اليومية **تشدان هؤلاء الناطقين و تتجاذبانهم** ، و بين طموح هؤلاء في استعمال مستوى راق، و إخفاقهم في تحقيق ذلك لسبب من الأسباب، تبرز **المستويات الوسطى** لتكون المنفـذ و الحل الأمثل لهذا الصراع، و ذلك من أجل خلق توازن لغوي.

لذلك، فإنّ هذه **المستويات اللّغوية** هي **وليدة مواقف خطابية خاصّة** كمثل هذا الموقف الخطابي الذي يجد المتكلم نفسه فيه، فالمتكلّم موجود في إطار وسيلة إعلامية تتأثر بالمجتمع، و تؤثر فيه، ذلك أنّه لما "نشطت الوسائل السمعية البصرية كوسائل اتصال فعالة تقوم

بأدوار هامة في المجتمع، كان لابد أن تتأثر بالمجتمع و تؤثر فيه، هذا التأثير الذي تجسّد في تداخل الفصحى و العامية لدى *العدد الكبير من المتكلمين بالمستويين، و تلاقحتا* ***فنشأت الوسطى همزة وصل*** **بينهما** تغذي هذه بتلك و تقرّب الشقة بينهما " [36]. و تكون هذه **المستويات البديل** الذي **يلجأ إليه المتكلّمون في مثل هذه المواقف**.

و يمكننا القول إنّ هذا **البديل هو نمط طوّره الناطقون**، و هو" **ثمرة لتفاعل العامية المكتسبة و الفصحى المتعلّمة**، حيث تتدخل في تشكيله، و خاصّة قائمة مفرداته شروط مواقف الاتصال، فيتخلى المرء عن معجم لهجته الضيق الخاص ويستبدله بالمفردات المشتركة، و قد يتحوّل عن بعض خصائصه النطقية وفقا لمقتضيات الحال. و مهما يكن من أمر هذا البديل، فهو **بديل يستعمل بشكل واسع**. و هذا ما يجعلنا نؤكد أنّ هذا **الموقف** بما يحويه من مؤثرات مادية و معنوية قد **أسهم إسهاما واضحا في توجيه السلوك اللّغوي وجهة معيّنة** لدى بعض المتكلّمين.

و يمكننا التمثيل لهذه **المستويات** كالآتي:

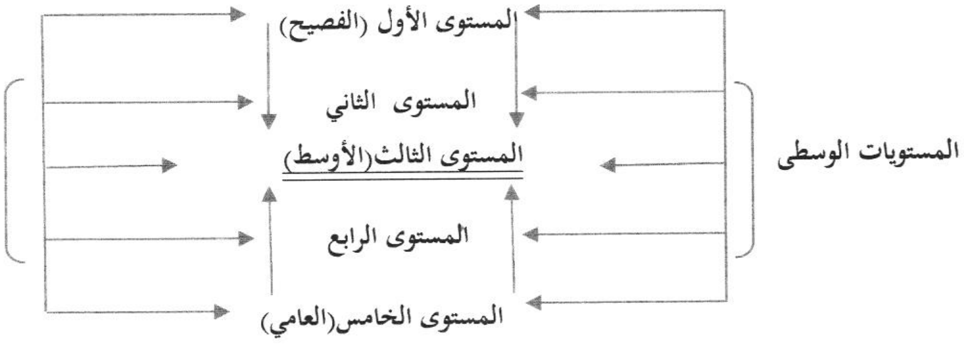

و قد نتجت هذه المستويات عن تداخل العربية الفصحى و العامية، و يظهر هذا التداخل على **مستويين**:

الأول: هو **المستوى الإفرادي**، بحيث تتعرّض الكلمة الواحدة لتغيّرات صرفية و صوتية.

الثاني: **المستوى التركيبي**، و في هذا المستوى قد ينتقل المتكلّم من العربية الفصحى إلى العامية أو العكس، و قد تتداخل الوحدات مع بعضها بعض، مما يؤدي إلى حدوث تغيّرات على الوحدات المتداخلة على مستوى السياق [37]، و تستقي هذه المستويات الوحدات الوظيفية من الفصحى و العامية معا.

و على الرغم من محاولة هؤلاء المتكلّمين الالتزام باستعمال المستوى الفصيح، أو بمستوى يقترب منه، **تطغى العامية و اللّغة الفرنسية** على ألسنة بعضهم، كضيوف الحصص والمشاركين عبر الهاتف، مما يجعلنا نستنتج أنّ الموقف أو المقام ليس العامل الوحيد المؤثر في اختيار السلوك اللّغوي، و أنّ هناك **عوامل أخرى** لها تأثير قوي على هذا السلوك.

العنصر البشري (المتكلّم في حد ذاته) كمحدّد للسلوك اللّغوي

هل **العنصر البشري**، أي المتكلّمون بما يرتبط بهم من مؤثرات يعدّ عاملا محددا لاختيار السلوك اللّغوي ؟

لاشك أننا **نختلف في سلوكنا اللّغوي**، فنحن "إذا تكلّمنا لا نفيد المخاطب بخبر فحسب، بل نكشف له في الوقت نفسه، سواء أردنا أو لم نرد، عن أمور كثيرة تتعلّق بالأصل و الجنسية و العمر و المحيط الذي تربينا فيه، وما إلى ذلك من الأمور التي تتعلّق بشخصيتنا. و هذا الاختلاف هو الذي يدعونا إلى الحديث عن **السّلوك اللّغوي الفردي** كسمة من سمات الشخصية و كعلامة فارقة بين الناس"[38].

فعلى الرغم من مشاركة الفرد لغيره في عنصر **اللّغة** إلاّ أنّه يختلف و يتميّز عنهم في استعمالها، وهو استعمال مرتبط أيضا بمؤثرات و عوامل، منها ما هو مرتبط بما حوله، فالمتكلّم إنما يتكلّم انطلاقا من خلفيته الثقافية و الاجتماعية و علاقته بالآخرين فحياة الفرد "في المجتمع تتطلّب القيام بأدوار مختلفة و معايشة مواقف متنوّعة مما يفرض عليه تكيّفا لغويا مع هذه الأدوار

و المواقف"[39]، فالطريقة التي يتخاطب بها الشخص مع زميله تختلف عن طريقته في مخاطبة رئيسه أو أي شخص لا يعرفه و هكذا.

و إذا كنا قد تحدثنا عـن تأثيـر الموقـف الرسمـي في السلـوك اللّغـوي للمنشطيـن و المنشطـات، و هو التأثير الذي ظهر في محاولاتهم الالتزام بالمستويات اللّغوية الوسطى خاصّة المستويين الثاني و الثالث، فإنّ هذه المحاولة تكشف لنا عن جانب آخر في السلوك اللّغوي، وهو أنها إستراتيجية تعبيرية يلجأ إليها المتكلّمون ليكيّفوا سلوكهم اللّغوي وفق مخاطبيهم [40]، مراعين في ذلك درجة فهم المخاطَبين للرسالة اللّغوية، بحيث **كانوا ينتقلون** من مستوى لغوي إلى آخر في حالة شعورهم بإمكانية عدم فهم السؤال المطروح، و ذلك بإعطاء مقابلات عامية أو تبسيط السؤال بالانتقال إلى مستوى يقترب من العامية.

و قد تتبعنا الاستعمال اللّغوي في حصتين: الأولى تلفزيونية و هي: "و كلّ شيء ممكـن" 41، و الثانية إذاعية في القناة الأولى، وهي : "نادي الأسرة" [42]، ولاحظنا أن تغيير المخاطَب يتبعه تغيير في السلوك اللّغوي، فالمنشط في الأولى استعمل المستوى الثاني و الثالث مع كل من المختصّة النفسية، و المختص في علم الاجتماع، و لكنّه يغيّر هذا السلوك اللّغوي بمجرّد توجهه بالخطاب إلى الضيوف الحاضرين في الأستوديو للبحث عن ذويهم، بحيث يسألهم عن الأسباب و الظروف التي أدت إلى غيابهم، مستعملا المستوى الخامس المتمثّل في العامية الخالصـة، أو المستوى الرابع الذي يقترب كثيرا من العامية.

و حدث الشيء نفسه في الحصّة الثانية أثناء الحوار، مع المختصّة النفسية، الذي دار حول موضوع الخجل، بحيث استعملت المنشطة **المستويين الأول و الثاني**، غير أنّها كانت تنتقل إلى **المستويين الرابع** أو **الخامس** عندما تتحدّث مع المشاركين في الحصّة عبر الهاتف، و ذلك – طبعا – مراعاة لمستواهم الثقافي و أعمارهم، ذلك أنّ أغلب المتصلين بالحصّة تتراوح أعمارهم بين 12 و 20 سنة، و من بين المتصلين فتيات ماكثات في البيت و هنّ ذوات مستوى تعليمي متوسط أو محدود في بعض الأحيان.

هذا ، و ظهر في كلام المنشطين بعض **الكلمات و التعابير الفرنسية** في بعض المواقع التي شعروا فيها بضرورة هذا الاستعمال اللّغوي، فمعرفتهم بخصائص مخاطَبيهم الذين هم جزء من المجتمع الجزائري، الذي تحضى فيه الفرنسية بمكانة هامّة، دفعهم إلى اللّجوء إلى هـذه الألفـاظ و التعابير **لتعزيز رسائلهم اللّغوية**، خاصّة تلك الألفاظ المتداولة؛ لأنّهم يدركون أنّ وصول الرسالة سيكون أسرع وأفضل بهذه الاستعمالات، كما يمكن تفسير سبب هذا الاستعمال بالتأثر اللاشعوري بلغة المخاطَب، بمجاراته في لغته.

و ربّما يكون الهدف من وراء ذلك هو تحقيق التوافق اللّغوي الذي يحصل عن طريق تكييف السلوك اللّغوي وفق المخاطَبين. وفي هذا الإطار استعمل منشّط الحصة الأولى، اللّغة الفرنسية عندما خاطب المشاهدين خارج الوطن (فرنسا و غيرها من الدول الأوربية التي يوجد فيها مغتربون جزائريون)، حيث وجّه لهم نداء يتضمّن دعوة إلى مساعدة العائلات الجزائرية التي فقدت أحد أفرادها، و الاتصال بالحصّة لإفادتها بمعلومات عن هؤلاء المفقودين في حالة حصولهم عليها.

و يعتبر التوجه بالخطاب إلى شخص معيّن أو أشخاص (تخصيص المخاطَب) غرضا من أغراض الانتقال، و هي أحد الأغراض التي تحدّث عنها (Gumperz) و أشارت إليها خولة طالب الإبراهيمي في دراستها حول "الجزائريون و المسألة اللّغوية". فالمنشط لم يتوجّه إلى شخص بعينه، بل إلى أكبر عدد ممكن من المتفرّجين الذين يسكنون أوروبا، و فرنسا على وجـه التحديـد، فلم يترك أي فرصة تحول دون وصول رسالته، فهو يدرك جيّدا طبيعة مخاطَبيه و طبيعة المكان الذي يوجدون فيه. و يبدو واضحا أنّ أي متكلّم يميل إلى استعمال لغة مخاطبه أو لغة تقترب من هذه اللّغة، وهذا ما أشرنا إليه أثناء حديثنا عن معايير اختيار السلوك اللّغوي.

و إذا كانت هناك معايير معيّنة تتحكّم في السلوك اللّغوي و هو ما لاحظناه في سلوك المنشطين، فإنّه لابد و أن تختلف هذه المعايير من شخص لآخر، وهي تختلف كذلك باختلاف المؤثرات و العوامل النفسية، وكذلك الأغراض التي يسعى المتكلّمون إلى تحقيقها. فالسلوك اللّغوي للضيوف و المشاركين عبر الهاتف يختلف عن سلوك المنشطين ذلك أنّه ظهر في كلامهم بعض

الكلمات الفرنسية، كبعض الظروف و الروابط مثل: Parce que, Alors, Heureusement, Normalement, Puisque، ... إلخ.

ويمكن تفسير سبب هذه الاستعمالات بالتأثر بالواقع الاجتماعي اللّغوي، حيث تشيع هذه الألفاظ على ألسنة الناطقين الجزائريين، وخاصّة الشباب منهم. فلغتهم متأثرة بالوضع اللّغوي العام، و بالظروف الاجتماعية و النفسية و الاقتصادية الراهنة. مما يجعلنا نستنتج أن لغة الشباب ما هي إلا ثمرة لتفاعل هذه العوامل كلّها.

غير أن بعض الناطقين لم يقتصروا على بعض الألفاظ و التعابير الفرنسية، بل **طغت هذه اللّغة على خطابهم**، و أدت الدور الأساس في **التعبير عن أغراضهم**، و يمكن إرجاع **سبب ذلك إلى تكوينهم التعليمي** باللّغة الفرنسية، فيتحكّم هذا العامل تحكّما واضحا في سلوكهم اللّغوي. فعدم تمكنهم من العربية – خاصّة المستوى الفصيح – هو الذي جعلهم يجنحون إلى الفرنسية. و من بين الذين لجأوا إلى هذه اللّغة، المختصّة في علم النفس في حصّة "و كل شيء ممكن ، إذ يبدو من خلال سنها أنّها درست في معهد علم النفس قبل مرحلة تعريبه.

هذا و لازلنا نشهد ظاهرة التكوين بالفرنسية في العلوم الطبية والتكنولوجية و هو ما يفتح الباب لمثل هذه السلوكات اللّغوية، و هو في الحقيقة وضع مرتبط بظروف تاريخية مرّت بها الجزائر، وغيرها من الدول العربية، تتمثل في ما خلّفه الاستعمار من وضع لغوي صعب جدّا. فعلى الرغم من أنّ اللّغة العربية هي اللّغة الرسمية إلاّ أنّ الفرنسية لا تزال تنافسها، وتحتل مركز الصدارة في عدد من المجالات. و عليه فإنّ نسبة معتبرة من المتكلّمين الجزائريين يلجأون إلى اختيار هذا السلوك اللّغوي.

و بالإضافة إلى التكوين التعليمي، فقد يكون لعامل الجنس دورا في اتخاذ هذا السلوك اللّغوي، فالنساء عموما يملن إلى استعمال الفرنسية ظنا منهن أنّها الأكثر دقة و تعبيرا و أنّها لغة الحضارة. و هو الأمر نفسه الذي لاحظناه في حديث إحدى المتصلات عبر الهاتف، فعلى الرغم

من أنّ الكلام كان عاديا ولا يتطلب استعمال الفرنسية، إلاّ أنّ هذه اللّغة قد طغت على حديثها واحتلت موقعا مهما.

وقد تسبب هذا الوضع في تبوأ الفرنسية مكانة اجتماعية و نفسية هامة، بحيث يُنظر إليها على أنّها لغة الحضارة و التطوّر و لغة العلوم و التكنولوجيا، و الفنون و الثقافة، و هي نظرة مرتبطة بعقلية المجتمعات العربية بشكل عام. فالظروف التاريخية التي مرت به هذه المجتمعات ولّدت لدى أفرادها عقدة تجاه لغتهم، فهي لغة في نظر الكثيرين، غير قادرة على التعبير عن التطوّر في مختلف مرافق الحياة، مما أدّى إلى حصرها في مجالات محدودة، واستبدالها بلغة أخرى تعبّر عن أغراضهم.

و تجدر الإشارة إلى التناقض الذي يعيشه بعض هؤلاء الناطقين في حديثهم عن قدسية العربية الفصحى و حبهم لها من جهة، و اتّخاذهم سلوكا لغويا مغايرا لها، وهو سلوك يمكن تفسيره بظاهرة نفسية تحدّث عنها العلامة (**ابن خلدون**)، وهي "أنّ المغلوب مولع أبدا بالاقتداء بالغالب في شعاره و زيّه و نحلته و سائر أحواله و عوائده [هذه الأحوال التي منها اللّغة] و السبب في ذلك أنّ النفس أبدا تعتقد الكمال فيمن غلبها و انقادت إليه: إما لنظره بالكمال بما وقر عندها من تعظيمه، أو لما تغالط من انقيادها ليس لغلب طبيعي، إنّما هو لكمال الغالب، فإذا غالطت بذلك و اتّصل لها حصل اعتقادا فانتحلت جميع مذاهب الغالب و شبهت به و ذلك هو الاقتداء، أو لما تراه ، واللّه أعلم من أنّ الغالب لها ليس بعصبية و لا قوة بأس، وإنّما هو بما انتحلته من العوائد و المذاهب تغالط أيضا بذلك عن الغلب ... و لذلك ترى المغلوب يتشبّه أبدا بالغالب في ملبسه و مركبه و سلاحه في اتّخاذها و أشكالها بل و في سائر أحواله" [43].

و إذا كان بعض المتكلمين يجنحون إلى المراوحة بين العامية و الفصحى، هذه المراوحة التي أنتجت المستويات الوسطى، و كان بعضهم يجنح إلى استخدام الفرنسية، فإنّ هناك فئة تضطر إلى استعمال العامية الخالصة و هي لغة الحياة اليومية و ذلك لأنّ المستوى الثقافي لأفراد هذه الفئة لا يسمح لهم بالتصرّف في مستويات لغوية متعدّدة فأميتهم تفرض عليهم الاقتصار على مستوى لغوي واحد و هو مستوى لم يكتسبوا غيره.

و تجدر الإشارة في الأخير، إلى أمر في غاية الأهمية، وهو أنّ **هذه العوامل** و **المتغيّرات** لها دور في **توجيه السلوك اللّغوي**، بحيث يمكن أن يكون لواحد منها أكبر الأثر **في تغيير هذا السلوك**، وقد يكون لواحد منها الدور الحاسم، وقد تجتمع كلّ هذه المتغيّرات لتسهم كلّها في اختيار اللّغة أو تغييرها، الأمر الذي يوضح و يبيّن أن الانتقال من لغة إلى لغة أخرى أو المزج بينها أو اختيار إحداهما **ليس محض المصادفة**، بل ثمّة عوامل تسهم بقسط وافر في حدوث هذا السلوك اللّغوي أو ذاك في الوضعيات الخطابية المختلفة التي يتواجد فيها متكلّمان فأكثر.

و على هذا فإنّ كل العوامل التي أشرنا إليها قد تسهم بجانب معيّن في توجيه و اختيار السلوك اللّغوي وجهة معيّنة. كما يمكننا أن نتحدّث عن تفاوت في تأثير كل عامل من هذه العوامل إذ قد يكون لواحد أثرا أكبر من الآخر خاصّة إذا كانت **الوضعية الخطابية** تتميّز بمميزات خاصّة، كتلك التي ت واجد فيها هؤلاء الناطقين، وهو **وجودهم في وسيلة إعلامية أو تعاملهم معها**، وهي حالة تقتضي نوعا من الانقباض النّفسي و الفيزيولوجي، فضلا عن العوامل التي تطرّقنا إليها سابقا. و لكن لا يمكننا الحديث عن عامل له الدور الحاسم في تحديد السلوك اللّغوي و اختياره.

الإحالات

1- R. Galisson et D. Coste, *Dictionnaire de didactique des langues*, Paris, 1976, p, 504.

2-*La Linguistique, Guide alphabétique* sous la direction d' A. Martinet, Denoël, Paris, 1969, p, 64.

3-idem, p, 65– 66.

4 - المرجع نفسه، ص، 65.

5 - المعجم الموّحد لمصطلحات اللّسانيات، ص، 32.

6 - انظر: J . Fishman, *La sociologie du langage,* Nathan-Labor, Paris, 1971 p, 176

7- C . Bachman, et al, *Langages et communication* sociales, Hatier - Credif, Paris , 1981, p, 102 – 103 .

8 - كريمة سالمي، احتكاك القبائلية بالعربية الدارجة، في كلام مزدوجي اللّغة، دراسة وصفية للتداخلات اللّغوية في بعض السياقات الاجتماعية، رسالة ماجستير في علوم العربية، 1996، ص، 62.

9 - مصطفى لطفي، اللّغة العربية في إطارها الاجتماعي، ص، 51 – 52.

10 - أحمد محمّد المعتوق، الحصيلة اللّغوية: أهميتها، مصادرها، وسائل تنميتها، المجلــس الوطني للثقافة و الفنــون و الآداب، الكويت، 1996، ص، 34 – 35.

11 - انظر : W. Mackey, *Bilinguisme et contact des langues*, Ed Klincksieck, Paris, 1976, p, 417.

12 - الطاهر لوصيف، منهجية تعليم اللّغة العربية و تعلّمها، رسالة ماجستير، معهد اللّغة العربية و آدابها، جامعة الجزائر، 1996 ، ص، 410.

13 - انظر : J . F. Hamers et M. Blanc, *Bilingualité et Bilinguisme,* Mardaga, Bruxelles, p : 183.

14 - مصطفى لطفي، اللّغة العربية في إطارها الاجتماعي، معهد الإنماء العربي، بيروت، 1981، ص، 71.

15- انظر: J . Fishman, *La Sociolinguistique*, Labor, Bruxelles, Paris, 1979, p, 55 - 56

16 - هذا المصطلح يقابل مصطلح "Code Switching"، و ينبغي الإشارة إلى وجود مصطلح عربي آخر هو "**التعاقب** اللّغوي"، انظر: المعجم الموحد لمصطلحات اللّسانيات، ص، 10، و هو من مصطلحات اللّسانيات الاجتماعية. و هو إحدى الاستراتيجيات اللّغوية التبليغية الأكثر جريانا بين المزدوجين بحيث يتواجد نظامان لغويان أو أكثر في الخطاب الواحد.

17 - أحمد محمّد المعتوق، **الحصيلة اللّغوية**، مرجع سبق ذكره، ص،364.

18 - انظر: D. Morsly , " Bilinguisme et énonciation " in *Sociolinguistique* de B. Gardin et J. B. Marcellessi , G. R.E. C . O Rouen , Approches , Théories, Pratiques, P.U.F, Paris, 1980 , p, 131.

19 - مصطفى لطفي، **اللّغة العربية في إطارها الاجتماعي**، ص، 77 - 78.

20 - انظر: W. Mackey, *Bilinguisme et contact des langues*, p:419. و انظر كذلك: D.Morsly, Bilinguisme et énonciation , p , 131.

21 - ابن جني، أبو الفتح عثمان، الخصائص، تح: عبد الحميد هنداوي، مج: 1، دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان، ص، 81 .

22 – الطيب البكوش، **التعريب و الازدواجية في تونس** (من خلال بعض البحوث الحديثة)، مجلّة اللّسانيات، معهد العلوم اللّسانية و الصوتية، ج: 1، العدد: 2، الجزائر، 1971.

23 - عبد السلام المسدي، اللّسانيات و علوم التربية، ص، 192.

24 - حسن شقير عبد الجواد، "**نحو مدخل عملي لدراسة اللّهجات العربية المعاصرة**"، الملتقى الدولي الثالث في اللسانيات، مركز الدراسات و الأبحاث الاقتصادية و الاجتماعية، العدد السادس، تونس، 1986، ص، 188.

25 – انظر: عبد العزيز شرف، **العربية لغة الإعلام**، منشورات دار الرفاعي للنشر و التوزيع، ط: 1، الرياض، 1983، ص، 28.

26 – إبراهيم السامرائي، **مع لغة الصحافة**، ص، 210.

27 - أحمد محمّد المعتوق، **الحصيلة اللّغوية**، مرجع سبق ذكر، ص، 312.

28 – المرجع نفسه، ص، 92.

29 - المرجع نفسه، ص، 99.

30 – إبراهيم السامرائي، **اللّغة و الحضارة**، المؤسسة العربية للدراسات و النشر، ط: 1، بيروت، 1977، ص، 22.

31 – عبد الرحمان الحاج صالح، "**مدخل إلى علم اللّسان الحديث**"،مجلة اللّسانيات، العدد: 5، 1974، ص، 30.

32 - نهاد الموسى، **الازدواجية في العربية**، ص، 90.

33 - مصطفى لطفي، **اللّغة العربية في إطارها الاجتماعي**، ص، 217.

34 – المرجع نفسه، ص: 123.

35 – انظر: الطيب البكوش، **إشكاليات الفصحى و الدارجات**، ص، 182.

36 – محمّد الشايب، **العربية الوسطى و ما نشأ فيها من تداخل**، ص، 66.

37 – انظر: المرجع نفسه، ص، 49.

38 – حنفي بن عيسى، **محاضرات في علم النفس اللّغوي**، ديوان المطبوعات الجامعية و المؤسسة الوطنية للكتاب، ط: 3، الجزائر، ص، 225.

39 - مصطفى لطفي، **اللّغة العربية في إطارها الاجتماعي**، ص، 46.

40 – انظر: -J. F. Hamers et M. Blanc, *Bilingualité et Bilinguisme*, p, 183.

41- حصّة **"وكل شيء ممكن"**: حصّة تلفزيونية اجتماعية يقدمها التلفزيون الجزائري، و تهدف إلى لم شمل العائلات التي فقدت أحد أفرادها بطرح مشكلاتهم و بث نداءاتهم، من أجل مساعدتهم على إيجاد ذويهم. وتستضيف مختصين في علم النفس و الاجتماع و القانون لمعالجة أسباب المشكلات التي أدت إلى هروب أو فقدان أحد أفراد العائلة.

42 – حصّة **"نادي الأسرة"**: حصّة إذاعية في القناة الأولى تتناول في أحد أركانها معالجة القضايا الاجتماعية و النفسية التي يعانيها أفراد المجتمع الجزائري.

43 - ابن خلدون عبد الرحمان، **المقدّمة**، دار الكتاب اللبناني و مكتبة المدرسة، لبنان، بيروت، 1982 ، ص، 259.